المحاضرة الثامنة: الفكر العربي ونظريات الاتصال

ان حقل الاعلام نشأ وترعرع في ظل البيئة الغربية، وعليه اهتم العديد من الباحثين والأكاديميين الغربيين بالظاهرة الإعلامية الاتصالية وحاولوا تفسيرها تفسيرا علميا، بإيجاد العلاقة التي تربط بين مختلف عناصرها، وأوجدوا العديد من النظريات في فترات متفاوتة، نظريات تعكس وجهات نظرهم وقلت في ظل ذلك، المحاولات العربية التي تعد على الإصبع لكن لا يمكن تفاوتها او تجاهلها.

وتعود المحاولات العربية عام 1958، مع الباحث "مختار التهامي" ونظرية "المسؤولية العالمية والدولية للصحافة"، نظرية تربط أجهزة الاتصال أو العاملين بمسؤوليات محددة مستنبطة من واقع المجتمع الدولي الحديث، ومن دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية و النفسية التي تعمل فيه.

وفي إطار نظريته، وضع "مختار التهامي" حدود المسؤولية العالمية للصحافة، وحق إصدار الصحف، وملكية مؤسسات الاتصال، وعلاقة ثقافة الصحفي برسالته في المجتمع، كذلك المسؤولية الدولية للحكومات في ميدان الاعلام الصحفي.

محاولة أخرى، تحسب للباحث "محمد سيد إبراهيم " ونظريته المسماة "النظرية المختلطة للاتصال"، وفيه يرى ان سعي العالم الثالث الى إيجاد نوع من التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع دفعه الى تبني النظامين الرأسمالي والاشتراكي .

لكن الواقع أثبت ان دول العالم الثالث تعرف خليطا من النظم السياسية المعاصرة ومن النظم التاريخية أيضا.[1]

اجتهاد علمي آخر نحو مقاربة نظرية إسلامية يطرحها الدكتور حمدي حسن يناقش خلالها الافتراضات الأساسية للنظريات الغربية التي تناولها آنفا، ويؤكد في تلك الرؤية على الأمور التالية:

–ان الثواب والعقاب الإلهي يشكلان الأساس الأخلاقي، للممارسات الاجتماعية لوسائل الاعلام، أو لغيرها، ولأن المسؤولية الاجتماعية هي مفهوم نسبي، يرتبط بالتقاليد، والأعراف الاجتماعية السائدة، حتى وان كانت مخالفة للشريعة الإسلامية، فإن هذا المفهوم يكتسب بعدا آخر، في الدولة الإسلامية يختلف عن المجتمعات الأخرى، فالمسؤولية الاجتماعية مرتبطة بالثواب والعقاب الإلهي، الوازع للأخلاق الإسلامية على مستوى الفرد أو وسائل الاعلام.

فالنظرية الإسلامية في الاعلام، لا تنبثق من ثنائية القيد و الحرية، ولكنها تعتمد كلية على ثنائية القيد والحرية، ولكنها تعتمد على ثنائية أخرى وهي الحلال والحرام والفارق الأساسي بين هاتين الثنائيتين يكمن في سيطرة الضمير الفردي والمسؤولية الاجتماعية، على العلاقة بين ما هو مقيد وما هو حر وارتباط العلاقة بين الحلال و الحرام بالثواب والعقاب الإلهي، وفي ظل الثنائية الأخيرة فان الحرية تصبح إلتزاما.[2]

1/8 نظرية التبعية الاعلامية

في بداية الثمانينات وبالذات في 1983 ، قدمت الدكتورة "عواطف عبد الرحمن" محاولة أخرى في كتابها" الاعلام العربي في ظل نظرية التبعية الاعلامية"، فحسبها، ان ظاهرة التخلف في الوطن العربي تعود الى التبعية التي تتبلور في نقطتين وهما: النقطة الأولى، هي سيطرة السلطة السياسية على ملكية الصحف ، واصدار قوانين الاتصال ،ورسم السياسات الاتصالية، والاشراف على نشر المادة الاتصالية، أما النقطة الثانية، فتتعلق بالبعد الدولي الذي يتضمن التبعية التكنولوجية للدول الغربية والتبعية السوسيو–ثقافية للشركات المتعددة الجنسيات من خلال الإعلانات، والتبعية الاتصالية لوكالات الأنباء الغربية ، ثم التبعية الأكاديمية لمعاهد وكليات الاتصال الغربية.

فبذلك ان حاجة الدول النامية الى التكنولوجيا المتقدمة والمواد الإعلامية يؤدي الى تشويه الطابع الثقافي المحلي والتغريب الثقافي نتيجة السيطرة أو الهيمنة الثقافية والغزو الثقافي الذي ينتج عن الاعتماد على هذه الدول المتقدمة في هذه المجالات، ويعتبر هذه الاعتماد أو التبعية امتدادا تاريخيا لعصور السيطرة والاستعمار واستعادة لأهدافها بطرق مختلفة.

8 /1- 1فروض النظرية

1–**وجود تحيز كمي**: فالأخبار المتصلة بالدول النامية لا تزيد عن ربع ما تقدمه وكالات الانباء الغربية.

2–**وجود تحيز كيفي**: فأغلب الأخبار التي تقدمها وكالات الأنباء الغربية عن دول العالم الثالث تتسم بالسلبية، وتؤكد على الصراع والتوتر، والفساد.

3– ينقسم العالم الى نمطين أساسيين في مجال الاعلام، يتميز الأول بتفوقه الإعلامي، وامتلاكه لمقومات هذا التفوق ، وتمثل المراكز الرأسمالية هذا النمط ، ويتميز الثاني بتخلفه الإعلامي، نتيجة عدم توفر مقومات التقدم الاعلامي ، وتمثل الدول النامية هذا النمط.

4- تتدفق المادة الإعلامية باتجاه واحد من الدول الرأسمالية الى مجتمعات العالم الثالث، تحمل في الغالب مضمونا ثقافيا رأسماليا استهلاكيا غريبا عن تلك المجتمعات.

5- تؤثر عملية التدفق الإعلامي التي تتم باتجاه واحد من المراكز الرأسمالية الى مجتمعات العالم الثالث، تؤثر سلبا على بنية المجتمعات ، وعلى بنية الثقافة فيها، مما يؤدي الى تشويه الشخصية والهوية الوطنية.

6- توجد آليات للتبعية الثقافية و الإعلامية يتجلى في الشركات متعددة الجنسية، ووكالات الأنباء العالمية، والطبقة البرجوازية المحلية، و النظام السياسي في مجتمعات العالم الثالث.

1/8 -2 الانتقادات الموجهة لنظرية التبعية الاعلامية:

لم تختلف هذه النظرية كثيرا عن منافستها (الاعلام التنموي) في اهتمامها بشكل التنمية وابتعدت عن تنظير ماهية التنمية. كما أنها اعتمدت اعتمادا أساسا على النموذج الاقتصادي، وكذا على مفهوم قوة وسائل الاعلام في إحداث تأثيرات على الجمهور، ولم تهتم بإثبات هذه التأثيرات.

كما أغفلت النظرية دور العوامل الداخلية في وضع الترتيبات والتنظيمات الإعلامية والإفادة منها، وهكذا أغفلت هذه النظرية حقيقة وهي : أن السياسات الإعلامية الوطنية رغم تأثرها بمؤثرات خارجية، الا أنها قرارات وطنية أولا ،وتعكس الأوضاع الاجتماعية الداخلية للبلدان .

من جانب أخر، أغلفت النظرية الجوانب الإيجابية للعلاقة بين المراكز الرأسمالية والدول النامية، كما أنها لا تقدم بدائل ومقترحات وحلول واضحة للخروج من مأزق التبعية.

لقد أدت التحولات المتلاحقة منذ انهيار الاتحاد السوفياتي الى شكوك حول الأطر النظرية لنظرية التبعية، فقد ظهرت قوى جديدة اقتصادية وإعلامية.

مما لا شك فيه، أن هذه الانتقادات لنظرية التبعية دفعت بالكثير من الباحثين الإعلاميين والاجتماعيين لمحاولة جدية للتماشي مع التطورات الاقتصادية والسياسية والإعلامية على المستوى العالم.[3]

2/ 8 نظرية الحتمية القيمية لعزي عبد الرحمن

إن القواعد التي بنى عليها الدكتور عبد الرحمان عزي نظريته فكرية، واصول مرجعية، و التي يعود مصدرها الى تكوينه الأول في مجال الاعلام و الاتصال، بحيث وضع جل اهتمامه على الكثير من التصورات الفكرية و المنهجية، و التي اعتبرها كأدوات حسية في فهم البعد الإعلامي و تأثيره على

المجتمعات و الذي امكنه من ابتكار نموذج نظري و منهجي جديد، و ما يؤكد ذلك تصريح عزي عبد الرحمن انه قام بتحديد مسار نظريته بتقديم النظرية الاجتماعية الغربية وكيف تكيفت مع الواقع الجديد وعلاقتها بالاتصال.

و تسمية النظرية بالحتمية القيمية عائد الى طالبه وزميله الدكتور "نصير بوعلي"، و الذي عمل على ابراز أهميتها خلال تقديم مقارنة بينها و بين نظرية الحتمية التكنلوجية لمارشال ماكلوهان.

استندت نظرية الحتمية القيمية أساسا على الرؤية القيمية و قيم المجتمع بأبعادها الايمانية، الزمنية، اللسانية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، التربوية، الجمالية، الإنسانية على مستوى كل من المواقف و السلوكيات.

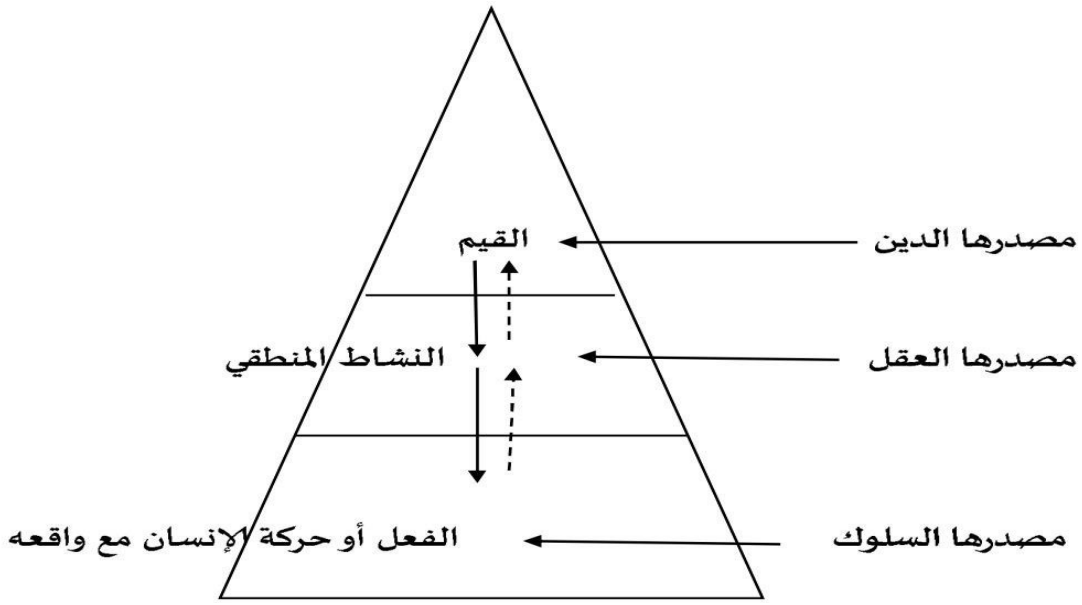

ركائز النظرية و أسسها:

تنطلق النظرية من مفترض أساسي يعتبر الاعلام رسالة هادفة، و اهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد، و يمكننا ان نلخص المرتكزات التي تقوم نظرية الحتمية القيمية الى النقاط التالية:

– ان يكون منبع الاتصال الابعاد الثقافية والحضارية التي ينتمي لها المجتمع.

–ان يكون نمط الاتصال نمطا تكامليا ليتضمن الاتصال السمعي البصري و الاتصال المكتوب و الاتصال الشفوي الشخصي .

-ان لا يكون الاتصال احادي تسلطي وان يقوم على المشاركة الواعية من طرف الجمهور المستقبل.
-ان لا يخلو الاتصال من القيم الثقافية و الروحية التي تساهم في رقي الانسان و المجتمع .

انتقادات النظرية:

وجهت بعض الأسئلة الى الأستاذ عبد الرحمان عزي عن ابرز الانتقادات التي وجهت الى نظرية الحتمية القيمية فأجاب في موقعه الخاص:

1. تسميتها بالحتمية تدل على الجبرية و كذا تقلل من حرية طرح و تناول الموضوعات ما يمكننا ان نضيف أن الحتمية تعتبر القيمة المحرك الأساس في فهم الظاهرة الإعلامية بمكوناتها (المرسل، الرسالة، الوسيلة، المتلقي)، و كيف تأثر على البنيات الاجتماعية والثقافية في سياق حضاري معين.

فالمرسل يحتاج إلى "خلفية و"تكوين "قيمي أخلاقي" حتى تكون ممارسته الإعلامية ذات قيمة واخلاق، فكل قرار يتخذه المرسل أو المؤسسة الإعلامية هو في الحقيقة قرار ذو طبيعة قيمية أخلاقية. بالنسبة للرسالة فأصلها قيمة: "الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء." .

2. ان النظرية معيارية بينما "العلم" يدرس الواقع دون غيره، ما نعنيه ان العلم يدرس ماهو حقيقي واقعي وملموس، و ليس ماهو أخلاقي ذو قيمة معنوية، مثال عن ذلك مهندس القنابل المتفجرة كل ما يهمه هو صنع تلك المواد و بيعها و من ثم جني الربح مقابل فعل ذلك، و لا يهتم بالدمار الذي تسببه، أي يستثني البعد الانساني الأخلاقي في إنتاج تلك الأدوات. لكن رغم هذا فالإنسان كائن أخلاقي بالدرجة الأولى ولكن السلوكيات التي يقوم بها ذات أبعاد نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية.
3. ان الواقع الذي نعيشه معقد نوعا ما، و من الصعب معالجته بمتغير فهناك مستويات من التحليل لأي ظاهرة، مثلا اذا اتخذنا منهجا استقرائيا (inductive) نبدأ بالجزء (الملوس والمحسوس) وهو الافتراض الذي يعتبر أساسيا في المنهج الإمبريقي (الذي فقد الكثير من المصداقية في العلوم الانسانية) و من ثم، يأتي المستوى العقلي المنطقي (العقل) في التفسير والتحليل والمقارنة، وأخيرا يأتي مستوى القيمة المرجعية، ونعني به المجال القيمي الأخلاقي والروحي المستمد من الدين و القيم العامة .

8 / 3 واقع صلاحية تطبيق الأنظمة الإعلامية في ظل تطور الاعلام الجديد

ان التمعن في البيئة الإعلامية الحالية يمكنه أن يستنتج على الرغم من مرور وقت طويل على نشأة الأنظمة الإعلامية الفلسفية السالفة الشرح، الا انها ماتزال قائمة في بعض المجتمعات لا سيما النظرية السلطوية التي ماتزال تطبق وبدجات ومستويات متفاوتة، وبقيت القاعدة أو الأساس لكثير من أنظمة الصحافة تعمل لدعم السلطة التي منحتها حق البقاء.

تكون في حالات معينة جميع وسائل الاعلام مملوكة للنظم الحاكمة، ومن ثم فإنها لا تخرج من سيطرتها وتوجيهاتها، وفي مجتمعات أخرى تكون وسائل الاعلام مملوكة للقطاع الخاص، لكنها تخضع لقوانين الدولة ولا يتم الترخيص لها الا بموافقة الجهات الرسمية ووفق لقوانينها.

وهناك مجتمعات تطبق نظرية السلطة في أسسها الفكرية، لكنها تسمح بقدر معين من حرية التعبير والنشر في مجال الاعلام، كما تسمح بتأسيس المعارضة في مجال السياسة، لكن ذلك كله يتم وفق خطوط عامة يعرفها العاملون في مجال الاعلام ولا يستطيعون تجاوزها، وإنما يسمح لها النظام الحاكم لتكون كمتنفس للشعب تطبيقا لمبادئ الديمقراطية.

وحتى في ظل الاعلام الجديد وما أحدثته الثورة المعلوماتية، وظهور وسائل الاعلام الجديد ، لكن ذلك لا يعني أن الحكومات تخلت عن ممارسة دورها في التعامل مع المتغيرات الجديدة، بل تكيفت معها، بما تستطيع تحقيقه لتبقى الرسالة –دون الوسيلة –محققة للحد الأدنى من الأهداف التي قامت عليها نظرية السلطة، سواء من خلال إصدار التشريعات الاعلامية وقوانين تتعلق بالجرائم المعلوماتية، وبخاصة فيما يتعلق بشبكات التواصل الاجتماعية.

ففي كل الحالات، تبقى الرسالة الإعلامية تتمتع بالحرية، ولهذا يمكن القول أن وسائل الاعلام الجديد، منحت العمل الإعلامي حرية في النشر والتعبير عن مختلف الآراء، لكنها لم تستطع تجاوز الأهداف العامة لنظرية السلطة، ذلك أن الحكومات تعاملت مع المتغيرات الجديدة في البيئة الإعلامية بما يحقق الحد الأدنى من سيطرة الحكومات على المضمون دون الوسيلة الإعلامية، وما يتعلق بها من ملكية للمؤسسة الإعلامية أو غيرها.[4]

المراجع:

1–فضة عباسي بصلي و محمد الفاتح حمدي، مدخل لعلوم الاتصال والاعلام : الوسائل، النماذج، و النظريات، الطبعة الأولى ،الأردن، عمان، 2017 ، ص ص231–232 .

2-موقع مقاتل، الصحافة، نظريات الصحافة وعلاقتها بالسلطة، نحو نظرية إسلامية، على الرابط: moqatel. com.sahafa

3-كمال الحاج ، نظريات الاعلام والاتصال، الجمهورية العربية السورية، الجامعة الافتراضية السورية 2020 ، ص ص 185-186 .

4-صونيا عبديش، مطبوعة لمحاضرات مقياس مدخل لعلوم إعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، كلية علوم الاعلام والاتصال، قسم الاعلام، 2023، ص ص 96-97.

5 -سمية هادفي، قراءة في نظرية الحتمية القيمية في الاعلام لعبد الرحمن عزي-رؤية نظرية تحليلية- المجلة الجزائرية للأبحاث ،العدد3 ، 2021 ، ص113 .

6- نسيبة فريجات وليلى سليماني، نظرية الحتمية القيمية في البحوث الإعلامية ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، مجلة اسهامات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد4 ، العدد1، 2012 ،ص139 .